

ماريان لودوير ودانيكا سيليسكوفيتش

التأويل سبيلاً إلى الترجمة

ترجمة فايزة القاسم؛ مراجعة حسن حمزة
(بيروت: المنظمة العربية للترجمة، ٢٠٠٩). ٢٨٨ ص. (لسانيات ومعاجم)

موريس أبو ناضر(*)

أستاذ جامعي - لبنان.

وثقافة التلقي، وبين الأمانة للنص، والتحرر
من حتمياته اللغوية.

- ١ -

تشير الترجمة من لغة إلى أخرى أسئلة معرفية تتعلق بماهية اللغة وطبيعة المعنى، وعلاقة الكلمات بالأشياء وحلّ مغاليق ذلك الصندوق الأسود الذي هو العقل البشري، وعلاقته بالوجود، وبما قبل الوجود، وهكذا يتعلّق المشكل اللساني بالمشكل الفلسفي والأنطولوجي، وتصبّ جميعها في مجرى الترجمة، فتنشأ النظريات والنزعات فتستفيد الواحدة من الأخرى، وتتناقض في الآن نفسه كلها، فتشكل رصيماً حياً على صعيد المعرفة، نسميه نظرية الترجمة.

- ٢ -

يتضمن كتاب **التأويل سبيلاً إلى الترجمة**، الصادر عن المنظمة العربية للترجمة، في بيروت، بترجمة لفائزة القاسم، قسمين كبيرين: يعنى القسم الأول بشرح عملية الترجمة، بينما يدرس القسم الثاني العلاقة بين آليات الترجمة، وآليات اللغة. وتتطرق أبحاث الكتاب إلى المنهجية التي تؤدي بالمرجم إلى اعتماد نظرية للمعنى تقضي بأن نفهم ما وراء ألفاظ النص، لكي نعبر عن المعنى المنعقد من غلافه اللفظي. بكلام آخر، إن المبدأ الأساسي الذي تستوحي منه هذه الأبحاث نسقها يكمن في فكرة مفادها أن آلية الترجمة هي نفسها، أيّاً كانت اللغات وأنواع النصوص، فالانتقال من النص إلى فكر غير لفظي، ومنه إلى نص آخر انتقال مستقل عن اللغات.

من المتفق عليه أن الترجمة إلى العربية تواجه العديد من المشكلات، من بينها تداخل الثقافات والأنساق، واختلاف البنى النحوية والمخزون المعجمي للغات، الأمر الذي يؤدي إلى صعوبة ضبط الاستراتيجيات، ومواجهة الثنائيات المشهورة في هذا المقام بين لغة المصدر واللغة المستهدفة، وبين ثقافة المنشأ

كيف نقول بوضوح ما فهمناه عند القراءة؟

أُيكون ذلك باحترامنا الشكل اللغوي والبنية النحوية للغة الأصلية قدر المستطاع؟ أم يكون ذلك بالانفصال عنها، وبالجهد الذي نبذله لنقل الرسالة إلى القارئ في شكل يفهمه، ويكون ذلك باستعمال طريقة التعبير التي تتضمنها لغته هو؟ بالطبع يجب اعتماد طريقة التعبير، وإلا أثينا بشيء لا شكل له، نُبذ متلاصقة ببعضها البعض، لم تعد تمثل شيئاً، لا لغة الانطلاق والمرسلة التي كانت تعبر عنها ولا لغة الوصول. باختصار، حتى يقرأ القارئ نصاً دون أن يجد صعوبة في فهمه، ينبغي أن يكون هذا النص مطابقاً لأعراف اللغة التي كُتب فيها معنوياً ونحوياً.

تعتبر ماريان لودوير ودانيكا سيليسكوفيتش أن موضوع الترجمة هو النصّ وليس اللغة، ولذا لا بد من التمييز بينهما لكي تحصر مشاكل الترجمة حصراً دقيقاً. والحصص يتم انطلاقاً من الألسنية الحديثة التي درست مجدداً مفهومي السياق والمقام، كما يبرزان من خلال علاقة اللغة بالخطاب.

- ٣ -

ثمة ثلاثة عوامل في نظر الباحثين الفرنسيين تساهم في تحويل اللغة إلى خطاب: المناسبة، وهي مجموعة العناصر اللغوية ذات الصلة بالإدراك، والسياق اللفظي المطابق لسمة الذاكرة، والسياق المعرفي المطابق للأفكار التي تتجلى شيئاً فشيئاً في الخطاب. عندما تفوهت الملكة ماري أنطوانيت، زوجة الملك لويس السادس عشر، بجملتها الشهيرة «يطالبون بالخبز،

إن المعنى هو غائية اللغة على ما تقول مؤلفنا الكتاب، وهو العنصر المركزي للعلاقات بين الناس، ولموضوع الترجمة. من هنا لا يبدو غريباً القول إن الترجمة هي تمرين يتناول لغتين، ويشتمل هذا التمرين على إيجاد الكلمات والبنى النحوية، التي تقابل في لغة ما الكلمات والبنى في لغة أخرى.

إن عملية المقابلة بين لغتين التي هي الأساس الذي تقوم عليه الترجمة تنتج مباشرة من الحاجة إلى التواصل، وتتعلق بعملية الفهم والتعبير، فنحن لا نتكلم أبداً، دون هدف، أو دون نية منا للإبلاغ، تماماً كما لا يمكننا أن نسمع أو نقرأ دون أن نفهم شيئاً، أي دون أن نبحث عن المعنى المتضمن. هذا، ويعلم المترجم جيداً، بوصفه قارئاً من أجل أن يفهم تارة، وكاتباً من أجل أن يفهم المعنى الأصلي تارة أخرى، إنه إذا لا يترجم لغة إلى أخرى، وإنما يفهم كلاماً، وينقله بدوره معبراً بطريقة مفهومة وجميلة. وجمال الترجمة وفائدتها أن تدور دوماً حول نقطة الوصل هذه، حيث يلتقي قصد المؤلف بما يفهمه القارئ.

وتقوم عملية الفهم، فهم القول اللغوي على ما تذهب إليه الباحثتان الفرنسيتان على درجتين من المعرفة: المعرفة بحد ذاتها، بمعنى المعارف السائدة المتصلة بالموضوع المترجم التي يستحضرها القول في كل مرة، ومعرفة اللغة المترجم إليها بنحوها وصرفها ودلالاتها. وبالتالي فإن إدراك المعنى يتوقف على التطابق بين هاتين الدرجتين من المعرفة. غير أن إدراك المعنى أو بالأحرى فهمه، في لغة الانطلاق لا يكفي، بل ينبغي أن أفهم من خلال لغة الوصول. لذلك تنقسم عملية الترجمة إلى قسمين: فهم المعنى من جهة، والتعبير عنه من جهة ثانية.

الترجمة، كما تؤكدان، ليست الكلمة مأخوذة بشكل منفرد، ولا الجملة محددة نحوياً كمسند ومسند إليه، إنما وحدة المعنى، أي ذلك الجزء من الخطاب الذي يسمح للقارئ بإدراك مقصد النص المشار إليه بواسطة اللغة.

لا شك في أن كتاب **التأويل سبيلاً إلى الترجمة**، يمكن أن يشكل مرجعاً مهماً للعديد من الطلاب والأساتذة والمختصين الذين يهتمون بالترجمة، كما تقدمها باحثتان شهيرتان من مدرسة باريس في الترجمة □

فليأكلوا فطائر الحلوى (البسكويت)»، بينت كم أنه من المستحيل أن نؤول جملة مستندة فقط إلى معناها اللغوي، دون الأخذ بعين الاعتبار سياق الجملة، ومقصد قائلها، وهو أن الجماهير جائعة.

إن عدم فهم المعنى هنا إذا نقلناه إلى صعيد الترجمة، كما تقول الكاتبتان، فلا شك في أنه يمثل الخطأ المنهجي الأكبر الموجود في العديد من الترجمات التي تكتفي بنقل دلالات لغة المصدر دون أن تتساءل ما إذا كانت تفي بالمعنى؟ وبالنتيجة، فإن وحدات

صدر حديثاً

عبد العزيز الدوري مكرماً أوراق وشهادات

حلقة نقاشية

من عادة العلماء أن يكرموا العلماء، ومن عادة مركز دراسات الوحدة العربية أن يُحيط تقليد التكريم العلمي بالوفاء فيوفر له المناسبات الملائمة من كتب وندوات وحلقات نقاشية تلقي ضوء التقييم والتقدير على من أهلتهم تآليفهم وسيرتهم في الناس لأن يكونوا موضع تكريم واحتفاء: أراجلون هم كانوا أم أحياء. وحين يكون المكرم في هذا الكتاب من جلة العلماء وأكابرهم ومن أساتيد عصر عزت فيه قامات الكبار؛ وحين يكون من الأصدقاء الخالص لمركز دراسات الوحدة العربية وآبائه الروحانيين، أعني العلامة (أبو زيد) عبد العزيز الدوري، يكون للتكريم معنى شديد الخصوصية. فالرجل من طينة نادرة من الرجال: في الفكر والسيرة الإنسانية.



١٥٩ صفحة

الثمن: ٥ دولارات

أو ما يعادلها